الابتـــلاء

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

يقول الله سبحانه وتعالى في أول سورة العنكبوت : ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٣] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في هذه الآية الكريمة: استفهام للتقريع والتوبيخ ﴿ **أَحَسِبَ** ﴾ أحسب من؟، ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ** ﴾،الناس من؟ ، الناس هم المؤمنين الذين أوذوا وعذبوا في سبيل الله كأمثال عمار وياسر وصهيب وبلال وغيرهم. قال ابن عباس ﷺ: المراد بالناس قوماً من المؤمنين كان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)** ﴾ [البروج : ٨] ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ أي ابتلينا الماضين واختبرناهم و إلاَّ فما تظنون وتحسبون؟ ، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)** ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)** ﴾.

[البقرة : ٢١٤] .

ففي صحيح البخاري من حديث خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نجده وهو متوسد بردته في ظل الكعبة، فقلنا له يا رسول الله : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد كان من كان قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له حفرة في الأرض ثم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيفرق نصفين ويمشط بأمشاط الحديد فلا يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليُتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلاَّ الله ، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» ، وروي أن عيسى عليه السلام كان له وزيراً فركب يوماً فأخذه السبعُ فأكله فقال عيسى عليه السلام : يا رب وزيري وخليفتي وعوني على بني إسرائيل سلطت عليه كلباً من كلابك فأكله ، قال: نعم كانت له عندي منزلة رفيعة فابتليته بذلك لأبلغه تلك المنزلة .

والبلاء والابتلاء يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان ، والبلاء قد يكون منحة وقد يكون محنة ، وقد تصير المحنة والمنحة جميعاً بلاء ، فتكون المنحة أعظم البلاءين،كما في قوله تعالى:﴿**وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٦] ، فتسمى عند الناس فتنة السراء وفتنة الضراء، ولا بد أن يبتلى الإنسان بما يسره وما يسوؤه كما في قوله تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٨] ، فأصحاب الجنة الذين ذكروا في سورة القلم ابتلوا بنعمة السراء كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)**﴾ [القلم: ١٧-٢٠] ، لذلك أخبر ﷺ عن سُنن الابتلاء لهذه الأمة وحدد لها معالم الطريق حيث قال: « **أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة خفف عنه فما يزال البلاء به حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة** » حديث صحيح .

ولهذا سئل الإمام الشافعي رحمه الله: فقيل يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ ، فقال الشافعي لا يمكَّن حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فصبروا حتى مكنوا.

يقول العلامة الألباني رحمه الله: وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيماناً أزداد بلاءً وامتحاناً والعكس بالعكس ،وفي ذلك رد على ضعفاء العقول والإيمان الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء كالحبس والإيذاء أو الطرد من بلاده أو وظيفته بأنه غير مرضيٍّ عنه ، أو أن ذلك شر له ، والحقيقة أن البلاء غالباً دليل خير وليس دليل شر كما يدل على ذلك الحديث الأتي : قوله ﷺ : «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» إسناده حسن .

قال سيد قطب رحمه الله في تفسير سورة العنكبوت:

إن الإيمان ليست كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر فلا يكفي أن يقول الناس آمنا وهم لا يفتنون لهذه الدعوة. ثم قال: إن الإيمان أمانة الله في الأرض لا يحملها إلا من هم لها أهلاً لذلك يجب أنْ يعلموا أولئك الدعاة المختارين من الله أنهم لن يجدوا طريقهم مفروشة بالورود والزهور والأكاليل، إنما هي مفروشة بالبذل، والعطاء، والتضحية، والابتلاءات. طريق مليئة بالعقبات تعب فيها آدم ، وناح لأجلها نوح ، ورمي في النار إبراهيم الخليل ، وقُدِّم للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس دراهم معدودة ، ولبث في السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج أنواع الفقر والأذى محمد - صلى الله وسلم عليهم جميعًا - فكيف يحق لك أن تلهوا وتلعب؟!! .

عدم الصمود في الابتلاءات:

عندما تأتي الفتن والابتلاءات تظهر الحقائق ويتبين الكاذب من الصادق كما ورد في الآية الكريمة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ [العنكبوت : ١٠] ، وقال عز وجل في آية أخرى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) ﴾ [الحج : ١١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته ولداً وأنتجت خيله قال : هذا دين صالح ، فإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء ، يبين ذلك قوله تعالى ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، والحقيقة أن هذا من تلبيس إبليس كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) ﴾ [آل عمران : ١٧٥]. أمَّا أولياء الرحمن فلا يخافون الترغيب والترهيب من قبل الناس كما وصفهم الله عز وجل بقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ [آل عمران : ١٧٣].

أنـــواع الابـــــتلاء:

الإنسان معرض للابتلاء في كل شيء، فقد يبتلى في دينه وماله وعرضه ، أو يبتلى في ولده وجسمه . وأعظم ابتلاء على الإطلاق هو:

❁ **الابتلاء في الدين:** فهذا إبراهيم عليه السلام ابتلي في دينه بلاء شديدا حتى

وضع في النار كما حكى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴾ [الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠] .

وذاك خبيب ابن عدي رضي الله عنه يمتحن ويبتلى في دينه عندما أسرته قريش،أخذوه وربطوه وشدوا وثاقه ووضعوه في بيت مكشوف والشمس تصهر رأسه ثم أخرجوه في بطحاء مكة وعلقوه على خشبة الصلب ، ثم خيَّروه بين أن يرجع عن دينه وبين الصلب، فأبى فلمَّا يئسوا منه طلبوا منه أن يسب رسول الله ﷺ فقط ثم يتركوه ، حتى قال له أبو جهل: يا خبيب أترضى أن يكون محمداً مكانك وأنت معافى في أهلك ومالك؟ قال: لا والله لا أرضى أن يشاك محمد بشوكة وهو في المدينة وأنا معا فا في أهلي ومالي. وهكذا تعرض كل فرد في المجتمع الإسلامي للأذى والابتلاء بسبب هذا الدين ، فكان رسول الله ﷺ يتبع الناس في منازلهم وأسواقهم «عكاظ والمجنة» ، وفي المواسم يقول: «**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**» ، فلا يجد أحداً يؤويه أو ينصره ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي ورهط في من قريش جلوس يضحكون ويهزؤون به ويشيرون إليه بالأصابع ثم قالوا : من يأخذ سلى الجزور ويضعه على ظهره ؟ ، فقال عُقبه بن أبي معيط وكان أشقاهم أنا آخذه ، فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت ابنته فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهره وهي تقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ، فقال ﷺ : «**اللهم عليك الملاء من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ،اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف**» ، سماهم بأسمائهم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فلقد رأيتهم يوم بدر قُتلوا جميعاً ثم سحبوا إلى القليب. وعن سعيد بن المسيب قال لما أقبل صهيب الرومي مهاجراً نحو المدينة وتبعه نفر من قريش نزل من

راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وأيم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شئ ، فقالوا: كيف نتركك تذهب وقد جئتنا صعلوكاً لا أهل لك ولا مال؟ ، فقال: إن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا: نعم. فلما قدم إلى رسول الله ﷺ في المدينة قال: « **ربح البيع أبا يحي ، ربح البيع أبا يحي** » ، ونزلت هذه الآية ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (٢٠٧)﴾ [البقرة : ٢٠٧] ، وعلى هذا الإسلام بايع الأنصار بيعة العقبة وهم يعلمون أنهم لا يبايعون على السلم والأمان ، إنما يبايعون على الموت والتضحية في سبيل الله حتى قال قائلهم: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع به نساءنا وأطفالنا،وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما استشار الرسول ﷺ الصحابة في معركة بدر فقال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**» ـ وكان يريد الأنصار ـ فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وكان رجلاً قيادياً محنكاً ـ فقال: يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وإنا لصُبُرٌ في الحرب صُدق عند اللقاء ، فسر بنا على بركة الله . الله أكبر ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (٢٣)﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، لذلك كان ﷺ يقول: «**فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً أخر ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار** ».

والآن في هذا الزمان تتجدد الابتلاءات والامتحانات لبعض المسلمين المتمسكين بدينهم ، وما يحدث في بعض البلاد الإسلامية أو التي تدعي الإسلام

ليس عنا ببعيد فقد يتعرض المسلم فيها للقتل والتعذيب والطرد والتشريد لماذا؟ لأنه رجل متدين أو لأنه يصلي الخمس فروض في المسجد جماعة مع المسلمين فقد أصبح هذا في نظرهم عمل شنيع وجريمة لا تغتفر أن تصلي أو تقرأ القرآن أو تسمع شريطاً إسلامياً،وكل هذا إرهاب يستحق العقاب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ **الابتلاء في الولد،** وقد يكون الابتلاء في المال والولد كما حصل لإبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل حيث قال سبحانه وتعالى﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)** ﴾ [الصافات : ١٠٢ - ١٠٧] قيل أن إسماعيل عليه السلام ولد وعمر أبيه ستة وثمانون سنة ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ** ﴾ أي كبر وصار شاباً يعتمد عليه ، أي صار محبوباً عند أبيه ، فيأتيه الأمر من الله أن يذبح ولده الوحيد ، وقرة عينه فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن أخبر ولده بهذا الأمر الخطير وهو حزين ومشفق عليه ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ أي تدبر أمرك وهيئ نفسك فرد ذلك الطفل الصغير والذي تربى على الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره وعلى الطاعة للوالدين﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)** ﴾ أي امضي لما أمرك الله به فساصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل ، لهذا أثنى الله عليه بقوله : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤)** ﴾ [مريم : ٥٤] ، إذاً هذا هو البلاء العظيم المذكور بقوله تعالى﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** ﴾.

❁ **الابتلاء في العرض،** وقد يكون الابتلاء في العرض وهذا من اخطر أنواع الابتلاء ، تعرض له أشرف بيت على وجه الأرض وخير خلق الله محمد عليه

الصلاة والسلام في حادثة الإفك التي هزت مدينة الحبيب محمد ﷺ لأن اتهام عرض النبي ﷺ ليس اتهام لذاته فقط، بل اتهام للدعوة ولما يدعو إليه ، فحكى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى في سورة النور ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾** ﴾ [النور : ١١– ١٧] .

❁ **الابتلاء في الجسد:** قد يبتلى الإنسان بجسده الحسي الذي يحمله فيصاب ببعض الأمراض التي تكدر صفو حياته والمسلم يبتلى بالمصائب عموماً وبالمرض خصوصاً ، وقد يكون هذا الابتلاء بالمرض عقوبة للإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه قال تعالى:﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ، لهذا يقول أحد الصالحين: ما أذنبت ذنباً إلاَّ رأيت ذلك في خلق دابتي وأهلي ، وقد يكون المرض تكفير للذنوب والآثام لما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همَّ ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلاَّ كفَّر الله عنه من خطاياه** » ، وقد يكون المرض سبباً لرفع منزلة العبد يوم القيامة كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في سُننه أن النبي ﷺ قال: « **إذا أحب الله قوماً ابتلاهم** » . لهذا أثنى الله عز وجل على أيوب عليه السلام بعد أن ابتلاه بالمرض فقال سبحانه وتعالى﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾** ﴾ [الأنبياء : ٨٤] ،قيل أن أيوب عليه السلام مكث فيه البلاء ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا زوجته صبرت عليه حتى عافاه الله بعد أن دعا ربه بقوله : ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ . أما محمد ﷺ فقد كان يتعرض للبلاء والمرض وليس كمرض الناس ، بل أشد منهم لما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت يا رسول الله توعك وعكاً شديداً؟ ، قال: « **أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** » .

فوائد الابتلاء:

❁ **تربية للمؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم**: فهم ينضجون بالمحن والابتلاءات كما ينضج الطعام بالنار لذلك يقول سيد قطب رحمه الله : إن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض للمجاهدة ، لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان ، ويقول أيضاً وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء « **والناس معادن كمعادن الذهب والفضة** » كما قال ﷺ : «**ولا تظهر هذه المعادن الأصلية إلاَّ بعد الابتلاء والتمحيص**» ، لذلك نجد أن الذي يتربى على المخاطر منذ الصغر تسهل عليه المصائب في الكبر وقد أحسن القائل حين قال:

على قدر أهل العزم تؤتى العزائم ... وعلى قدر الكرام تؤتى المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

لهذا أثنى الله عز وجل على المؤمنين الذين خاضوا حياة الابتلاء والتمحيص بقوله سبحانه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

كذلك من فوائد الابتلاء :

❁ **أن فيه رفع لدرجات المؤمنين وتكفير لخطاياهم** : حتى يمشي أحدهم على الأرض وليس عليه خطيئة كما جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ : «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ،يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلاءه ، وإن كان فيه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء به حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**»، الشاهد من

الحديث « **حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة** »،وجاء في الحديث القدسي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله عز وجل يقول: « **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر ، عوضته منهما الجنة** » ، ومعنى حبيبتيه يريد عينيه ، والجنة ثمنها الابتلاء في سبيل الله كما قال تعالى﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة : ١١١] .

❁ **أن فيه تمايز بين الحق والباطل وتطهير للصف المؤمن من أدعياء الايمان،** كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [العنكبوت : ٣] ، فإذا ما حصل التمايز وتمت الغربلة في هذه الأمة انقسم الناس إلى فسطاطين أو تكتلين اثنين ، تكتل إيماني ليس فيه نفاق ، وتكتل نفاقي ليس فيه إيمان كما بين ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة في مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام** » ، رواه أبو داوود في كتاب الملاحم ، لذلك ينقسم جيش المسلمين في يوم الملحمة أو في معركة هرمجدون ،.كما يسميها الغرب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: وهو قسم المنافقين يرتدُّون على أعقابهم فلا يغفر الله لهم أبداً.

أما القسم الثاني: فيموتون شهداء ، وهم أفضل الشهداء عند الله .

والقسم الثالث : يفتح الله على أيديهم النصر فلا يُفتنون أبداً.

الابتلاء في النعمة :

فالابتلاء سُنَّة ماضية في الأولين والآخرين كما سبق ذكره ، والإنسان لابد أن

يبتلي بالسراء والضراء كما في قوله تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب والنقم قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر : ١٥-١٦] ، فالنعم قد تكون ابتلاء من الله ليظهر بها شكر الشاكرين وكفر الكافرين ؛ كما قال تعالى عن نبيه سليمان لَمَّا رأى عرش بلقيس عنده ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠] ، وأنت أيها المسلم يجب عليك أن تتسلح بسلاح الشكر الذي وعد الله به الشاكرين بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم : ٧] ، لذلك قال ﷺ : « **إذا أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلاَّ كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة** » ، رواه الطبراني .

وقال أحد السلف لرجل من المترفين: إني أرى عليك نعمة فقيِّدها بالشكر. فيا أخي الكريم وطن نفسك على الشكر حين الشكر ، وعلى الصبر حين المصيبة ، فإن الدنيا لا تخلوا من أمرين ، حلو ومر ، سعادة وشقاء.

لابد للمرء من ضيق ومن سعة ... ومن سرور يوافيه ومن حزن